ـ 1 ـ

Dennis Ross,

"Netanyahu Is Playing Into Khamenei's Hands,"

Washington Institute for Near East Policy, Policy Analysis (13 September 2024).

Also published in *Foreign Policy*.

يرى دنيس روسّ الدبلوماسي الأمريكي الخبير في شؤون الصراع العربي- الإسرائيلي في هذا التحليل السياسي ـ الذي يمثل وجهة نظر أمريكية ـ أن زعماء إيران يتابعون سياستهم الاستراتيجية تجاه إسرائيل في لعبة طويلة الأمد، بينما لا يفعل قادة إسرائيل ذلك. ويعتقد روسّ أن إيران لا تخفي التزامها بالسعي إلى تدمير إسرائيل من خلال إبقائها تحت ضغط مستمر وإغراقها في صراعات مستمرة على حدودها، في حين أن النهج الإسرائيلي الحالي ـ ومن عجيب المفارقات ـ يبدو وكأنه يصب في مصلحة إيران. ويوضح أنه لطالما افترض المرشد الأعلى الإيراني، آية الله علي خامنئي، أن الإسرائيليين سيغادرون إذا شعروا أنهم يتعرضون لضغوط مستمرة من التهديدات العسكرية، أو بـ«حلقة نار» حول إسرائيل. ويشارك الأمين العام لـ«حزب الله» السيد حسن نصر القيادة الإيرانية هذا الافتراض، ويصمم الجانبان استراتيجيتهما العسكرية وفقًا لذلك. ففي كانون الثاني/يناير الماضي أعلن الأمين العام لحزب الله في خطاب له أن الإسرائيليين غير متجذرين في الأرض، وإنهم سيهربون منها تحت الضغط. كما صرح المرشد بأن من شأن «الهجرة العكسية» أن تعني نهاية إسرائيل. ووفقًا لهذا المنطق، فإن الاستراتيجية المناسبة على المدى الطويل هي إرغام إسرائيل على القتال على جميع الجبهات: في غزة، وعلى الجبهة الشمالية مع لبنان، وفي الضفة الغربية، وإغراقها في حروب استنزاف، وذلك من دون تدخّل عسكري إيراني مباشر في الصراع. ويعني ذلك أن جوهر استراتيجية إيران تكمن في إرهاق إسرائيل في مستنقعات تكلفها عسكريًا وتعزلها سياسيًا على الساحة العالمية. وكما صرح المرشد في آذار/مارس الماضي، «تعاني إسرائيل من أزمة» لأن «دخول النظام الصهيوني إلى غزة خلق له مستنقعًا. وإذا خرجت إسرائيل من غزة اليوم، فستكون قد فشلت. وإذا لم تخرج، فستكون قد فشلت أيضًا».

وتؤكد السياسات الإسرائيلية الحالية صحة الاستراتيجية الإيرانية، إذ تخوض حكومة رئيس الوزراء الإسرائيلي بنيامين نتنياهو حاليًا حروب استنزاف في غزة، وعلى الجبهة الشمالية مع حزب الله، وتقوم أكثر فأكثر بتوغلات أكبر في الضفة الغربية. وقد تبدو كل واحدة من هذه الجبهات – وعلى نحو منفصل – «منطقية»، ولكنها مجتمعة، تمثل لعبة وفقًا لشروط إيران. ولذا يرى روسّ أن حكومة نتنياهو تقع في فخ الحرب الطويلة وعليها السعي إلى بلورة استراتيجية جديدة. ويرى، في هذا السياق، أن الأمر يتطلب اتخاذ قرارات صعبة، بل ضرورية من قبل نتنياهو وإدارة بايدن. ويجب أن يكون الرئيس الأمريكي القادم مستعدًا لاتخاذ خطوات تجعل بعض هذه القرارات أسهل للتبرير.

بالنسبة إلى حكومة نتنياهو، يعدّ روس أن الخطوة الأولى يجب أن تبدأ بإنهاء الحرب في غزة. وتحاول إدارة بايدن تسهيل ذلك من خلال التوصل إلى اتفاق حول الرهائن يضع الأساس لوقف دائم لإطلاق النار. لكن هذه الجهود تجعل من يحيى السنوار، رئيس المكتب السياسي الجديد لحركة حماس، الحَكَم في مسألة إمكان التوصل إلى اتفاق، حتى مع افتراض أن نتنياهو جاد بشأن إبرام صفقة رهائن، وهو أمر يشكك فيه الكثير من الإسرائيليين.

وبينما يأمل روس أن تنجح الجهود التي تقودها الولايات المتحدة، إلّا أنه يرى ضرورة في أن تكون هناك خطة بديلة تركز على إنهاء الحرب من أجل إطلاق سراح الرهائن، بدلًا من التوصل إلى اتفاق حول الرهائن لإنهاء الحرب. ولتحقيق هذه الغاية، يحتاج نتنياهو إلى القدرة على الادعاء بتحقيق النجاح بصورة موثوقة، على أساس تفكيك الجناح العسكري لـ «حماس» وتدمير الكثير من بنيتها التحتية العسكرية، وضمان وقف التهريب لمنع «حماس» من إعادة بناء قوتها. ويعتقد أن تركيز نتنياهو على «معبر رفح" و»ممر فيلادلفيا» «ليس خاطئًا»، لأن هناك ضرورة لوقف التهريب فوق الأرض وتحتها في كلا المنطقتين؛ لكن إصراره على إبقاء قوات إسرائيلية هناك خاطئ لأن هناك بدائل لهذه القوات، وهي على استعداد للمساهمة في إيجاد بديل لحكم «حماس» في غزة – الأمر الذي يوفر لنتنياهو ما يريده للإعلان عن تحقيق الانتصار. وبحسب روسّ، تستعد مصر والمغرب والإمارات العربية المتحدة ودول أخرى لإدارة غزة بشكل مؤقت إلى جانب الفلسطينيين غير المنتمين إلى «حماس» وتوفير الأمن ـ لكن ذلك لن يحدث إذا بقيت القوات الإسرائيلية في غزة. وبإمكان إدارة بايدن المساهمة في منع التهريب من خلال توفير تقنيات مسح جديدة والالتزام بالمساعدة على تمويل حاجز تحت الأرض لمنع الأنفاق، وترتيب وجود قوات إماراتية إلى جانب متعاقدين أمنيين مدربين ومجهزين بصورة خاصة لحراسة الممر.

وإذا أعلن نتنياهو إنهاء الحرب، فسوف يواجه السنوار ضغوطًا هائلة ليس فقط من قبل الجهات العربية، بل من الفلسطينيين أيضًا للإفراج عن الأسرى كون حماس ومنذ البداية، اشترطت إنهاء الحرب في مقابل إنجاز صفقة الإفراج عن الأسرى. وستظل هناك المفاوضات حول التسلسل الزمني وسرعة انسحاب القوات الإسرائيلية وإطلاق سراح الأسرى الفلسطينيين، لكن السياق بأكمله سيتغير، وستتمكن حكومة نتنياهو

من مخاطبة الإسرائيليين بأنها تنهي الحرب وفقًا لشروطها. ويمكن لها بعد ذلك معالجة موضوع وقف الحرب مع حزب الله الذي أكد أمينه العام أن الحزب سيتوقف عن إطلاق النار إذا تم التوصل إلى وقف إطلاق النار في غزة - وهذا من شأنه أن يمهد الطريق للتوصل إلى اتفاق يسمح للإسرائيليين واللبنانيين بالعودة إلى منازلهم في الجليل وفي جنوب لبنان. ويمكن للولايات المتحدة الإعلان عن التزامها بدعم أي تحرك إسرائيلي على الأرض ومده بالسلاح إذا انتهك حزب الله أي تفاهم بشأن وقف إطلاق النار قد يتم التوصل إليه.

أما بالنسبة للضفة الغربية، فيعتبر روس أنه لا يمكن للسلطات الإسرائيلية ببساطة أن تتّبع سياسة عقابية، لكن عمليات التوغل الحالية التي تشنها القوات الإسرائيلية سوف تتكرر لاعتقال «المطلوبين». ويتبنى روسّ الموقف الإسرائيلي الذي يتهم إيران ببذل جهود كبيرة لتهريب الأسلحة والمتفجرات ودفع رواتب لأعداد كبيرة من الشباب الفلسطينيين العاطلين من العمل لتنفيذ ما يصفه بـ «أعمال إرهابية ضد إسرائيل»، ويرى أنه «يجب وقف ذلك». كما يتبنى ما تروّجه بعض التقارير بأن «معظم عمليات التهريب تأتي عبر الحدود الأردنية إلى الضفة الغربية وتنطلق من سورية». ويرى أيضًا أن السلطات الأمنية الأردنية تبذل جهودًا لوقف عمليات التهريب، لكنها تفتقر إلى التكنولوجيا والقوى البشرية اللازمة للقيام بهذه المهمة. وهنا يرى أنه بإمكان الولايات المتحدة أن تؤدي دورًا من خلال توفير التكنولوجيا والطائرات بدون طيار، بل وحتى الأفراد للمساعدة في وقف التهريب. كما يرى أنه يتعين على إسرائيل أيضًا معالجة الأرض الخصبة التي تفيد إيران في الضفة الغربية، بحيث تعيد السماح للفلسطينيين الذين تم التحقق من أهليتهم، بالعمل في إسرائيل مجددًا، الأمر الذي من شأنه أن يقلل إلى حد كبير معدلات البطالة في الضفة؛ وعليها أيضًا التوقف عن حجب الضرائب التي تجمعها لمصلحة الفلسطينيين لتخفيف حدة الضغوط الاقتصادية الكبيرة التي تعانيها السلطة الفلسطينية، والتي لا تدفع سوى 50 بالمئة من رواتب موظفيها، بما في ذلك قواتها الأمنية؛ كما يجب على السلطات الإسرائيلية اتخاذ إجراءات أكثر حزمًا في التعامل مع العنف القادم من المستوطنين اليهود.

ويؤكد روسّ أنه طالما استمر إيتامار بن غفير وبتسلئيل سموتريتش، القوميَان المتدينان في الحكومة الإسرائيلية الحالية، يؤثران في صوغ السياسات الإسرائيلية تجاه الضفة الغربية، فلن يتغير الكثير. فهما يريدان انهيار السلطة الفلسطينية ـ وهذا من شأنه أن يخلّف فراغًا في الضفة الغربية، وهو الفراغ الذي ستكون إيران سعيدة بملئه.

ويعتبر روس أن الفلسطينيين يحتاجون أيضًا إلى الأمل في أن يكون لهم مستقبل، وأن يتمكن العلمانيون غير الإسلاميين من توفيره. ويضيف بأنه بإمكان السعوديين أن يلعبوا دورًا أكبر في تقديم رؤية سياسية للفلسطينيين، وهو أمر ضروري أيضًا لمنع المزيد من التطرف في الضفة الغربية. ومن جانبهم، يطالب السعوديون بمعاهدة دفاعية مع الولايات المتحدة وبمسار ذي مصداقية نحو إقامة دولة فلسطينية، مشيرًا إلى أن إدارة بايدن مستعدة لوضع اللمسات الأخيرة على معاهدة الدفاع وتقديمها لمجلس الشيوخ الأمريكي بعد الانتخابات الأمريكية، لكن

المسار الموثوق لإقامة دولة فلسطينية يتطلب تعديلًا في السياسة الإسرائيلية.

ويرى أنه منذ هجوم «حماس» في 7 تشرين الأول/أكتوبر 2023، أصبح الجمهور الإسرائيلي، وليس نتنياهو فقط، متوجسًا من فكرة الدولة الفلسطينية. ولذا ـ بحسب روس ـ ليس مطروحًا قيام دولة فلسطينية تحت قيادة «حماس»، وأن هوية الفلسطينيين ستقوم على التعايش مع إسرائيل وليس المقاومة. ومن جهة ثانية،

لا يمكن أن يكون هناك مسار موثوق نحو إقامة دولة فلسطينية إذا استمرت إسرائيل في اتخاذ إجراءات على الأرض بطريقة تجعل الدولة الفلسطينية مستحيلة. لذلك، يجب على نتنياهو أن يختار التطبيع مع السعودية على حساب القوميين الدينيين في حكومته. ويعني ذلك في المدى القريب، تفضيل الرئيس الأمريكي جو بايدن على بن غفير.

وقد يجعل بايدن هذا الأمر أكثر سهولة من خلال عرض أكثر من مجرد معاهدة دفاعية للسعوديين كجزء من صفقة التطبيع. كما أن إدارة بايدن يمكن أن تذكّر نتنياهو بليلة 13 نيسان/أبريل الماضي، عندما اعترضت القوات الأمريكية ـ بمشاركة بريطانية وفرنسية وعربية ـ الكثير من الطائرات المسيّرة وصواريخ كروز التي أطلقتها إيران، لتؤكد أن إسرائيل لم تكن تدافع عن نفسها بمفردها. ونظرًا إلى أن إيران لا تريد الدخول في صراع مباشر مع الولايات المتحدة، فقد يكون الوقت مناسبًا لتوقيع معاهدة دفاع رسمية بين الولايات المتحدة وإسرائيل أيضًا.

ويخلص روسّ إلى أن ما تقدم به من مقترحات واحتمالات من شأنه أن يمثل أجندة شاقة لأي حكومة إسرائيلية. لكن تجاهل مثل هذه المقترحات واستمرار حكومة نتنياهو في الاندفاع نحو حرب طويلة المدى على مختلف الجبهات، وعدم اتخاذ الولايات المتحدة المبادرة لمواجهة التطورات من شأنه أن يضفي الشرعية على النهج الإيراني، وبالتالي يعزز استراتيجية إيران طويلة الأمد بدلًا من تقويضها.